الكوثري وتعليقاته

لعلامة الشـــام
محمد بهجة البيطار
رحمه الله تعالى
المتوفى سنة 1311 – 1396هـ

قام بنشر هذا الكتاب [شبكة الدفاع عن السنة]
في نهاية عام 1425هـ
بعناية (المنهج)

مقدمة الناشر

الحمد لله الذي قد قيض لهذا الدين حماة يذبون عنه انحراف المبطلين، وصلاة وسلام على سيد الورثة لعلم النبيين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه رسالة قصيرة، أخرج فيها علامة الشام قلمه من غمده ليذود عن حياض الحق، ويقطع دابر الباطل وأهله، أبان فيها جهمية الهالك الكوثري، وفساد تعليقاته ..

وإن [شبكة الدفاع عن السنة] لتحرص دوماً على نشر كتب التراث، وخاصة في مجال العقيدة والرد على المخالفين، وتبيان طرق المنحرفين، وهذا أقل ما ينبغي أن يقدم ..
وإن علامة الشام وريحانتها البيطار قد قام بجهود في نشر العقيدة الصحيحة والتحذير من أهل الضلالة والفرقة، رغبة منه في جمع الكلمة على كلمة التوحيد، ومن ذلك هذه الرسالة التي اسأل الله أن ينفع بها ..
ونظراً لأن بعض أهل الباطل يروجون للكوثري ويقدسونه وينشرون كتبه، كان من المهم أن ننقل للقارئ الكريم رؤية علماء أهل الإسلام في كل قطر عن هذا الجهمي الضال المضل، ليُعرف في أي واد من العلم هو، ولتستبين سبيل المجرمين، وتعرف أن من يمجدونه بأي شيء رفعوا رأساً، فوالله ما رفعوه بالقرآن والسنة، بل الهوى والتعصب والتقليد المذموم، لما وجدوا عليه أبائهم وجهالهم وهم على هذا مقتفون، نسأل الله أن يهدي ضال المسلمين، ويستبين سبيل المجرمين، وينصر عباده المجاهدين، وصلى الله على سيدنا

وحبيبنا النبي الأمي محمد بن عبدالله الهاشمي عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم.

أبو عمر (المنهج)
في 22/11/1425هـ
بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

[الكوثري وتعليقاته]

إن تعجب فعجب لرجل أعجمي يدعي الغيرة على الإسلام والدفاع عن عقائده وعن فقه المسلمين، ثم تراه لا يألو جهداً في نفي ما أثبت الله عز وجل لنفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه خاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وسلم، من آيات صفاته، ونعوت جلاله، تبارك وتعالى، ويطعن في أئمة الحديث، ونوابغ العلماء وأشهر مشاهير الأمة، من دون ورع ولا حياء، ولا يبالي أن يكتب العقائد من عند نفسه، وأن يملي التاريخ من حقده، فينحل أهل السنة عقائد المعتزلة، ويثني عليهم بها، ويشوه تراجم الرجال ومحاسنهم، ويقلب الحقائق رأساً على عقب.

هذا هو الشيخ زاهد الكوثري الجركسي الذي كان سمح له الأستاذ السيد حسام الدين القدسي أن يصحح بعض مطبوعاته، وأن يعلق عليها تعليقات لا يخرج بها عن دائرة الحقيقة، ولا يفتات فيها على أحد بشيء.

ولما وقف على هذا النزر الذي علَّقه رأى فيه من ضروب الخيانات والجنايات ما تقف له الشعور، وتقشعر له الجلود، ويُسئل من مثله العافية، فاضطر الحسام الفاضل إلى إيقافه عن التصحيح والتعليق،

وأعلن في مقدمة كتاب "الانتقاء"(1) خيانته على رؤوس الأشهاد، وجنايته على الدين وأهله، وبما لم يسبق إلى مثله، وذكر أمثلة منها تراجع في تلك المقدمة. وأشار إلى تعيين تعليقاته كلها ليكون القراء على بينة من أمرها.

وإليك أيها القارئ الكريم أمثلة مما ذكرناه لتشهد بصحة قولنا فيه، ولتعلم مبلغ هذا الرجل من الدين والحقيقة والإنصاف.

قلبه للحقائق رأساً على عقب

قال الإُمام أبو القاسم بن عساكر حافظ الشام في كتاب تبيين كذب المفتي فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (ص 37): وقذفوه (أي الإمام الأشعري) بمثل ما قذفت به اليهود عبدالله بن سلام وأباه سلاماً، ونقل في (ص 40) عن أبي بكر القيرواني أن أبا الحسن لما رجع من مذهب الاعتزال صار عند المعتزلة ككتابيٍّ أسلم، وأظهر عوار ما تركه، فهو أعدى الخلق إلى أهل الذمة، وكذلك الأشعري أعدى الخلق إلى المعتزلة، فهم يشنعون عليه الأشانيع، وينسبون إليه الأباطيل.

وعلق عليه الكوثري فقال في تعليل ما قذفت به اليهود ابن سلام وأباه، حيث قال اليهود هو شرنا وابن شرنا، وتنقصوه حين علموا أنه أسلم بعد أن كانوا يقولون فيه هو خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا، وهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور، على ما جاء في صحيح البخاري وغيره (قال): وقد ورث منهم

أفراخهم المشبهة! الوقيعة في إمام السنة ببهتان يختلقونه هداهم الله تعالى أ.هـ.

فأنظر أيها المطلع البصير إلى هذه الوقيعة الشنيعة في أئمة التوحيد والفقه والحديث، وكيف يجعلهم الكوثري أفراخ اليهود! ويرميهم بالتشبيه وباختلاق البهتان! وهم لم يزيدوا على أن أثبتوا لله تعالى ما أثبته هو لنفسه من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تأويل ولا تعطيل، وهذا هو مذهب الإمام الأشعري الأخير الذي صار إليه، ودان الله به وعزم أيلقاه عليه. وفي التبيين (ص 40) أنه صعد على منبر الجمعة ومعه شريط شده في وسطه، وقال: اشهدوا عليَّ أني كنت على غير دين الإسلام، وأني قد أسلمت الساعة، وأني تائب مما كنت فيه من القول بالاعتزال، فعلى مذهب هذا الأعجمي الشركسي صار الإمام أبو الحسن الأشعري فرخاً لليهود مجسماً، وقد كان على مذهب الاعتزال المعطل سالماً!! ولذلك تراه يحمل مثالب المعتزلة على أهل السنة والجماعة مثبتي النصوص، ويسميهم مشبهة وأفراخ اليهود. وحاشاهم وهو في كلامه أو سهامه التي يوجهها إليهم، يطعن في إمام الأشاعرة لرجوعه إلى المذهب الحق، وإيثاره نصوص الكتاب والسنة، وإتباعه هدي سلف هذه الأمة، ويحاول أن ينقض بتعليقاته كتاب الإمام ابن عساكر الذي انتصر فيه للإمام أبي الحسن الأشعري ومذهب السلف ودين الحق، إما عن جهل، أو سوء نية وقصد، {والله عليم بذات الصدور؛ ولكن الإمام الأشعري صرح أنه كان في اعتزاله على غير الإسلام، وأنه أسلم منذ الساعة التي

فيها في مذهب السلف، فليختر الكوثري إما الدخول معه في الإسلام أو قبول ما كان عليه من قبل!!

[الكوثري وتبيين كذب المفتري]
مخالفته لأهل السنة في إثبات الصفات

أرأيت هذا العنوان الذي هو اسم كتاب الحافظ ابن عساكر- رحمه الله تعالى- إنه ينطبق على الكوثري فيها علق عليه، فهو أشد الناس عداوة لمذهب أئمة السلف في الأسماء والصفات، وهذا الكتاب أَلَّفَ في الأشعري بعد رجوعه إلى مذهبهم، فدعوى الكوثري فيه كدعوى آل حرب في زياد، وتعليقاته عليه مفسدة لأصله مناقضة له، وقد عَدَّ (في التبيين) الكتب التي ألفها الإمام أبو الحسن وذكر أسماءها، وروي عن الأشعري- رحمه الله- أنه قال: "وألفنا كتاباً كبيراً في الصفات- وهو أكبر كتبه- سميناه [كتاب الجوابات في الصفات عن مسائل أهل الزيغ والشبهات] نقضنا فيه كتاباً ألفناه قديماً على تصحيح مذهب المعتزلة لم يؤلف لهم كتاب مثله، ثم أبان الله سبحانه لنا الحق فرجعنا عنه فنقضناه، وأوضحنا بطلانه". فهلا رجع الكوثري عن مسائل أهل الزيغ والشبهات إلى مذهب الحق كما رجع الإمام؟ أم يريد أن يستمر في هذا التخبط بديجور الأكاذيب والأوهام؟!

وإليك شذرة من عقيدة الإمام الأشعري التي أفصح عنها في أول كتاب [الإبانة] ليظهر لك من هو الأحق بالانتساب إلى هذا الإمام. قال رحمه الله

باب في إبانة أهل الحق والسنة

فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون، قيل

له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا عليه السلام، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل نضَّر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ورفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكّين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم ومفخم.

وجملة قولنا إنّا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا نردَّ من ذلك شيئاً (ثم قال): وإن الله مستو على عرشه كما قال: {الرحمن على العرش استوى} وأن له وجهاً كما قال: {ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام} وأن له يدين بلا كيف كما قال: {خلقت بيَدي} وكما قال: {بل يداه مبسوطتان} وأن له عينين بلا كيف كما قال: {تجري بأعيننا}.

ثم عقد الإمام الأشعري في كتابه في كتابه الإبانة أبواباً وفصولاً في إثبات الصفات الإلهية صفة صفة، ونصر العقائد السنية عقيدةً عقيدة، وردَّ شبه أهل الزيغ والضلال المحرفين شبهةً شبهة، فكتابه هذا (رحمه الله) هو مجموعة عقائد وحقائق لأهل السنة، ودحض أباطيل لأهل البدع والأهواء، ولكنه (رضي الله عنه) أقام الحجج القاهرة على أنه يدين الله تعالى بما

يدل عليه كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأن مذهبه هو مذهب الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، وهو مذهب إمام السنة أحمد بن حنبل نضَّر الله وجهه.

وترى من أبواب هذا الكتاب (الإبانة) "باب ذكر الاستواء على العرش" و"باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين" ولكن الكوثري عامله الله بما يستحق لا يقيم لشيء من هذا وزناً، ولا يرفع به رأساً، بل يُعدُّه ضرباً من الضلال والخبال، وإن كان في كتاب الله المتعال، وفي كلام النبي المبِّين لمِا نزل من عند الله، وإن كان مذهب الصحابة والتابعين وأهل الحديث وأئمة الرواية، وحتى وإن كان مذهب أبي الحسن الأشعري الذي يزعم الانتصار له؛ بل وإن كان مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان الذي يدعي الانتماء إليه وهو يرد عليه سفهاً، فقد قال الإمام أبو حنيفة (رضي الله عنه) في كتاب "الفقه الأكبر" المطبوع مع كتاب الإبانة (ص 16) "من قال: لا أعرف الله أفي السماء أم في الأرض فقد كفر" قال الله تعالى: {الرحمن على العرش استوى} فإن قال: "أقول بهذه الآية ولكن لا أدري أين العرش، في السماء أو في الأرض فقد كفر أيضاً". وقال في كتاب الوصية (ص 10) "ونقر بأن الله على العرش استوى، وقال في الفقه الأكبر أيضاً (ص 14) وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس، فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة أهـ.

أتري الكوثري بعد هذا كله أشعرياً، أو حنفياً أم تراه جهمياً أو معتزلياً؟ ثم تراه في ظلمات حواشيه يزعم أن كتاب "الإبانة" ليس مما ألفه الإمام في أواخر حياته، ويدعي أن طبعتها محرفة، وهو يريد بهذا التخريف إبطال الثقة بكتاب "الإبانة" وبالمذهب الحق الذي صار إليه الإمام ورده إلى مذهب الاعتزال (وماذا بعد الحق إلا الضلال).

وقد أذكرَنا بهذا التعصب الذميم بما حكاه في "رسالة الذب عن الأشعري" الحافظ أبو محمد بن علي البغدادي أنه شاهد نسخة من الإبانة بخطه مقروءة مصححة (قال): ونسخت منها نسخة وقابلتها عليها بعد أن كنت كتبت نسخة أخرى مما وجدته في كتاب الإمام نصر المقدسي.

"ولقد عرضها بعض أصحابنا على عظيم من عظماء الجهمية المنتمين إلى أبي الحسن الأشعري- ببيت المقدس- فأنكرها وجحدها. وقال ما سمعنا بها قط، ولا هي من تصنيفه، واجتهد آخر في إعمال رويته، ليزيل الشبهة بفطنته، فقال بعد تحريك لحيته، لعله ألفها لما كان حشوياً!! فما دريت من أي أمريه أعجب أمن جهله بالكتاب مع شهرته وكثرة من ذكره في التصانيف من العلماء، أو من جهله بحال شيخه الذي يفتري عليه بانتمائه إليه، واشتهاره قبل توبته بالاعتزال بين الأمة عالمها وجاهلها أهـ.

فما أشبه الكوثري المحرف لآيات الكتاب المجيد بهذا الجاهل العنيد، وهو مقلد له ولأمثاله في تلقيب مثبتي النصوص بالحشوية، وهم الصحابة والتابعون وأئمة السلف الصالحون {كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً}، {تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون، ويل لكل أفاكٍ أثيم، يسمع آيات الله تتلى عليه، ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها، فبشره بعذاب أليم}.

خيانته في النقل وجرأته على الله عز وجل

إن مما يقضي بالعجب تلاعب الكوثري في النقل وتناقضه فيه، وجرأته على الله عز وجل، وطعنه في أهل القرون الثلاثة المفضلة وهم الصحابة والتابعون وأتباعهم بإحسان فيما أجمعوا عليه، وجعل عقيدتهم التي هي نصوص القرآن القطعية من شواذ شيخ الإسلام ابن تيمية. وإليك البيان:

أورد الحافظ ابن حجر (ج 13) من شرحه للبخاري أقوال القرون الثلاثة ومن تبعهم بإحسان في قوله تعالى: {وكان عرشه على الماء} ثم نقل حافظ المشرق ابن حجر عن حافظ المغرب ابن عبدالبر قوله: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ولم يكيِّفوا شيئاً منها، وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا: من أقرَّ بها فهو مشبِّه، فسماهم من أقر بها معطلة"أهـ.

وترى الحافظ الذهبي في كتاب "إثبات العلو لله تعالى" ينقل ما يؤيد ذلك عن جميع أصناف العلماء، ومثْلِه الإمام ابن القيم في "اجتماع الجيوش الإسلامية" بما يجزم المؤمن معه أن إثبات الصفات عقيدة السلف قاطبة.

ويجيء في الزمن الأخير الكوثري المتعصب عليهم جميعاً، الجريء على الحق بالهوى، فيطعن في عقيدتهم وعقيدة نابغة الإسلام، وعَلَم الأعلام، الإمام

تقي الدين أحمد بن تيمية الذي جدد لنا في كتبه عهد السلف بسلامة إيمانهم وقوة برهانهم، والجمع بين صريح العقل وصحيح النقل جمعاً مطابقاً لنصوص اللغة، وحقائق لدين وهدى القرون الثلاثة المفضلة، ويعيب عليه في حواشيه على التبيين (ص 393) وفي إشفاقه (ص 74) ما قاله في نقض أساس التقديس للرازي عند الكلام في الاستواء (ولو شاء لأستقر على ظهر بعوضة فاستقلت بقدرته، فكيف على عرش عظيم؟) وهو ينتزع هذه الجملة انتزاعاً ويحذف منها ليشوه وجه الحقيقة مع أن المراد منها ظاهر، وهو أن العرش وحملته محملون بقدرته. وأصلها في الكواكب (المجلدة 25) لولا ذلك (أي قدرته وإرادته) ما ستقل به العرش ولا الحملة، ولا السماوات والأرض ومن فيهن، ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به قدرته، ولطف ربوبيته، فكيف على عرش عظيم أكبر من السماوات السبع والأرضين السبع؟ ألخ.

وقد حذف الكوثري قول شيخ الإسلام (ولطف ربوبيته) ليخفي المراد، وهو أن القدرة الإلهية قائمة بجميع المخلوقات، مستقلة بها من العرش الذي هو أكبر مخلوق، إلى صغار الذر والبعوض، وهو تعالى بائن منها، مستغن عنها عالٍ عليها جميعاً، وإنما أراد الكوثري أن يشنِّع بضرب البعوضة مثلاً فقال سبحانه: {إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها، فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم}.

ولما عاب الكفار ذكر النحل والنمل والذباب والعنكبوت في القرآن، ذكرهم الله في هذه الآية أن

البعوضة فما فوقها من عجائب خلق الله وأنها مشتملة على حكمة بالغة {وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العاملون} وفي قوله تعالى: {فأما الذين آمنوا} الآية ثناء عظيم على المؤمنين واعتداد بعلمهم أنه الحق، ونعى على الكافرين إغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم للكلمة الحمقاء كما قال الزمخشري في كشافه.

فيا ليت شعري من أي الفريقين هذا المعترض حتى يعيب مثلاً مضروباً في القرآن؟ وأصغر مخلوق لله وهو خلق معجز للبشر عن أن يأتوا بمثله، كما أنه أقصر سورة من القرآن هي وحي معجز لهم أن يأتوا بمثله.

"عرش الرحمن"

ثبت بالنصوص القرآنية القطعية التي لا مجال للتأويل ولا التضليل فيها أن الله مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، قاهر فوق عباده، وأن عرش الرحمن أعظم مخلوقات الله وقد أفرده الله بالذكر في آيات كثيرة، ووصفه بأوصاف دلت على أن له وجوداً مستقلاً عن سائر الموجودات، وهذه شذرة مما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة العرشية قال رضي الله عنه:

"وأما العرش فالأخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات وأنه ليس نسبته إلى بعضها كنسبة بعضها إلى بعض، قال الله تعالى: {الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم، ويؤمنون به} وقال سبحانه: {ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية}.

فأخبر أن للعرش حملة، اليوم ويوم القيامة، وأن حملته حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للمؤمنين.

ومعلوم أن قيام فلك من الأفلاك بقدرة الله تعالى كقيام سائر الأفلاك لا فرق في ذلك بين كُرة وكُرة، وإن قدر أن لبعضها ملائكة في نفس الأمر تحملها فحكمه حكم نظيره قال تعالى: {وترى الملائكة حافين من حول العرش} الآية، فذكر هناك أن الملائكة تحف حول العرش، وذكر في موضع آخر أن له حملة، وجمع في موضع ثالث بين حملته ومن حوله فقال: {الذين يحملون العرش من حوله} وأيضاً فقد أخبر أن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السماوات والأرض كما قال تعالى: {وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء} وقد ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((كان الله ولم يكن شيءٌ غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيءٍ وخلق السماوات والأرض)) وفي رواية له: ((كان الله ولم يكن شيءٌ قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء)).

وفي رواية لغيره صحيحه: ((كان الله ولم يكن شيءٌ معه، وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء)).

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)) وهذا التقدير بعد وجود العرش، وقبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهو سبحانه وتعالى يمتدح بأنه ذو العرش، كقوله سبحانه وتعالى:

{قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا}.

وقوله تعالى: {رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق، يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار}.

وقال تعالى: {وهو الغفور الودود، ذو العرش المجيد، فعال لما يريد}. وقد قرئ المجيد صفةً لله وقرئ بالخفض صفة للعرش.

وقال تعالى: {قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم، سيقولون الله، قل أفلا تعقلون} فوصف العرش بأنه مجيد، وأنه عظيم.

وقال تعالى: {فتعالى الله الملك الحق، لا إله إلا هو رب العرش العظيم} فوصفه بأنه كريم أيضاً وكذلك في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: ((لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم)) فوصفه الحديث بأنه عظيم وكريم أيضاً أهـ.

فأين يذهب المعترض بهذه الآيات الكريمة والنصوص القطيعة في إثبات العرش ووصفه، وهل من سبيل إلى إنكارها أو صرفها عن ظاهرها؟ وتأويل أعظم مخلوق وأكبر موجود بالعدم الصرف!! وأي فرق بين وجود السماوات والأرض والعرش والكرسي يا ترى؟!! وهل يعقل ما يقول من يعادي هذه النصوص، ويخرق الإجماع الذي حكاه ابن عبدالبر، ويلقب ابن تيمية بالحشوي، ويسمى المؤولين والمعطلين بأهل السنة؟! ويقول عن ابن تيمية: لا يعد هذا الحشوي من صغار تلامذتهم!! كما تراه في مقدمة تبيين كذب المفتري. وتلقيب شيخ الإسلام بالحشوي من الحشو الذي لم يقع له نظير، ومن التقليد المميت للعقل والشعور؛ بل من التعصب الشنيع الذي لا يرضاه لنفسه إلا ورثة اليهود البُهت، فإن هذا الإمام جمع في كتابه بين العقل والنقل جمعاً كَمَّ فيه أفواه جميع أهل الابتداع والأهواء، وهذا الخوض بالباطل لا يضر شيخ الإسلام ولا يزيد مريديه إلا بصيرة في دينهم ورسوخاً، ويأبى الله للحق إلا أن يظهر، وللباطل أن يذل ويقهر، وها هي كتب شيخ الإسلام تطبع وتنشر، وتطرد بنورها ظلام الشكوك والأوهام {بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون}.

كذب مفضوح في كتاب مطبوع

لو كان هذا الرجل- الكوثري- ممن يتقي الله ويبالي خزي الدنيا ويوم الحساب، لما رضي لنفسه هذا الموقف الشاذ الذي وقفه من حملة القرآن، ودعاة

السنة وحماتها، ولما استباح لنفسه الكذب في التاريخ والتجني على أئمة الدين، ومفاخر المسلمين في كل العصور.

لا أطيل القول عليك أيها القارئ الكريم، وإنما أنقل لك جملة مما قال في كتابه الأخير الذي سماه "الإشفاق على أحكام الطلاق" كأنه أشفق على المسلمين من أن يعودوا إلى عهد الطلاق الشرعي في الإسلام وأراد أن تستمر هذه الفوضى في البيوت، وتبقى نصوص القرآن محجوبة عن المسلمين- فقد عرض في كتابه هذا لنابغة الإسلام الإمام ابن تيمية كدأبه في عامة ما يكتب، ولكن هذه الكتابة من أفضح ما كتب وأخزاه، قال هداه الله (ص 73): ولولا شدة ابن تيمية في رده على ابن المطهر في منهاجه، إلى أن بلغ به الأمر أن يتعرض لعلي بن أبي طالب كرم الله وجه على الوجه الذي تراه في أوائل الجزء الثالث منه، بطريق يأباه كثير من أقحاح الخوارج!! مع توهين الأحاديث الجيدة في هذا السبيل- لما قامت دولة الغلاة من الشيعة في بلاد الفرس والعراق وشرق الآسيا (كذا) الصغرى وأذربيجان من عهد الملك المغولي "خدابنده" وابن المطهر الحلي لمّا وصل إليه كتاب ابن تيمية هذا، قال: كنت أجاوبه لو كان يفهم كلامي، ولكن جوابي يكون بالفعل، حتى سعى سعياً إلى أن تمكن من قلب الدولة السنية من تلك الأقطار، إلى دولة غالية في التشيع يحمل "خدابنده" الملك الشعوب على التمذهب بمذهب ابن المطهر، ولم يزل الغلو في التشيع في تلك البلاد منذ عمل ابن تيمية

هذا، ولو كان يسعى بحكمة لما بعدت شقة الخلاف بين الإخوان المسلمين على الوجه الذي تراه أهـ.

أقول: كلامه هذا الصريح في أن الإمام ابن تيمية هو الذي أثار ثائرة الشيعة بتعصبه عليهم، وطعنه فيهم، وتنقصه علياً عليه السلام بما يأبى مثله الخوارج!! وأنه هو الذي حمل ابن المطهر على الغلو في التشيع والسعي في نشر المذهب من عهد الملك المغولي "خدابنده" الذي تشيع وقلب دولته شيعية بسعي ابن المطهر الحلي هذا، وأن منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لشيخ الإسلام وهو الذي زاد النار ضراماً إلخ.

سبحــان الله!! ما أجرأ هذا الرجل على تشويه الحقائق وإفساد التاريخ، فهو ممن زُين له عمله فرآه حسناً، وإليك الجواب عن الكذب الصريح:

1- إن شيخ الإسلام لم يؤلف كتابه (منهاج السنة النبوية) ابتداءً؛ ولكنه ألفه رداً على كتاب الحلي الشيعي الذي سماه "منهاج الكرامة" وقد قال رحمه الله في مقدمة كتابه: أما بعد فإنه أحضر إلي طائفة من أهل السنة والجماعة كتاباً صنفه بعض شيوخ الرافضة في عصرنا منفقاً لهذه البضاعة، يدعو به إلى مذهب الرافضة الإمامية من أمكنه دعوته من ولاة الأمور وغيرهم (إلى ن قال) وذكر من أحضر هذا الكتاب بأنه من أعظم الأسباب في تقرير مذهبهم عند من مال إليهم من الملوك وغيرهم، وقد صنفه الملك

المعروف الذي سماه "خدابنده"، وطلبوا مني بيان ما في هذا الكتاب من الضلال وباطل الخطاب أهـ.

فأنت ترى أن كتاب منهاج السنة النبوية قد كتب رداً لاعتداء من اعتدى على أهل السنة وتهجم عليهم، وطعن في دينهم، وأن شيخ الإسلام، قد أحضر إليه كتاب الشيعي ولم يكن رآه، وطلب منه أهل السنة والجماعة رد مفترياته على أهل السنة وهو شيخهم؛ بل شيخ الإســلام، ومن أولى منه ببيان الحق وأقدر منه عليه؟

2- إن الملك المغولي "خدابنده" قد ترفَّض أو تشيع على يد ابن المطهر الحلي قبل صدور رد شيخ الإسلام عليه كما هو ظاهر من كلامه.

3- إن أقصى ما في كلام شيخ الإسلام هو الدعوة إلى الاعتدال في الأقوال والأعمال، وتخفيف غلو الغالين في العقائد، وتقليص ظل عصبيات أهل البدع والأهواء، ودفع أكاذيبهم وأباطيلهم، والغرض من ذلك كله تنوير العقول، وتقريب القلوب، وتطهيرها مما تراكم عليها من أوضار الباطل، وأوغاد الحقد، وإزالة ما استحكم فيها من جفوة وقسوة.

وهذه نبذة صغيرة من كلام شيخ الإسلام مصدقه لما ذكرناه.

قال رحمه الله : "وأما الرافضي فإذا قدح في معاوية بأنه كان باغياً ظالماً، قال له الناصبي: وعلي أيضاً كان باغياً ظالماً لما قاتل المسلمين على إمارته وبدأهم بالقتال، وصال عليهم وسفك دماء الأمة بغير فائدة لا

في دينهم ولا في دنياهم، وكان السيف مسلولاً في خلافته على أهل الملة، كفوفاً عن الكفار- إلى أن قال- فالخوارج والمروانية وكثير من المعتزلة وغيرهم يقدحون في علي رضي الله عنه وكلهم مخطئون في ذلك ضالون مبتدعون" أهـ.

فأنت ترى شيخ الإسلام يحكي كلام الروافض والنواصب والخوارج، ولكنه لا يحكم على فريق؛ بل يحكم بأنهم مخطئون مبتدعون ضالون، خلافاً لما يزعمه الكوثري، المقلد الغبي، من انتقاص مقام الإمام علي، فما أضيع البرهان عن المقلد!.

4- وأوضح وأفضح مما تقدم أن هذا المتعدي على التاريخ، الذي أسقطه الحسام القدسي بسبب اعتدائه- كما بينا من قبل- دعواه أن ابن تيمية هو سبب الغلو في التشيع، وبسط سلطانه في الأرض، ويوهم كلامه أو يفهم أن السلطان "خدابنده" قد ترفض ونشر مذهب ابن المطهر بسبب ابن تيمية، وتحامله على الشيعة في منهاج السنة النبوية.

وقال: ابن المطهر الحلي لما وصل إليه كتاب ابن تيمية هذا، قال: كنت أجاوبه لو كان يفهم كلامي، ولكن جوابي يكون بالفعل حتى سعى سعياً إلى أن تمكن من قلب الدولة السنية من تلك الأقطار إلى دولة غالية في التشيع يحمل "خدابنده" الملك الشعوب على التمذهب بمذهب ابن المطهر، ولم يزل الغلو في التشيع متغلغلاً في تلك البلاد منذ عمل ابن تيمية هذا. أهـ.

ونحن ننقل لك بعد هذا الكلام ما ذكره الشيعة الإمامية أنفسهم في سبب ترفُّض الملك "خدابنده" ليعلم مبلغ هذا الرجل من تحريف التاريخ وقلب الحقائق الواقعية بكل وقاحة وصفاقة، ونسجل عليه حقده وتعصبه على رجال الإسلام العظام، وافتراءه عليهم الكذب الصريح .

جاء في كتاب "روضات الجنات في تراجم الشيعة" تأليف ميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الميلاد، والأصفهاني الموطن والمهاد،- في ترجمة الحسن بن المطهر الحلي ما نصه: ثم نقل عن كتاب شرح مولانا التقي المجلسي علي الفقيه نقلاً عن جماعة من الأصحاب أن الشاه "خدابنده" المذكور غضب يوماً على امرأته فقال لها: أنت طالق ثلاثاً، ثم ندم وجمع العلماء فقالوا: لابد من المحلل فقال: عندكم في كل مسألة أقاويل مختلفة، أو ليس لكم هنا اختلاف؟ فقالوا: لا، فقال: أحد وزرائه: إن عالماً بالحلة وهو يقول ببطلان الطلاق، فبعث كتابه إلى العلامة وأحضره- وهنا أطال في وصف اجتماعه بعلماء السنة ومناظرته لهم، بما يضحك الثكلى ويشبه كلام الصبيان (ثم قال): وعلى أي حال فالطلاق الذي أوقعه الملك باطل، لأنه لم يتحقق شروطه، ومنه العدلان، فهل قال الملك بمحضرهما؟ قال:لا. ثم شرع في البحث مع العلماء حتى ألزمهم جميعاً فتشيع الملك، وبعث إلى البلاد والأقاليم حتى يخطبوا بالأئمة الإثني عشر، ويضربوا السكك على أسمائهم، وينفقوها على أطراف المساجد، والمشاهد!! منهم (ثم قال): والذي في أصفهان موجود الآن في الجامع القديم الذي كتب

زمانه ثلاثة مواضع منه، وكذا في معبديه- مكوار لنجان، ومعبد الشيخ نور الدين النطنزي من الفرقاء وكذا على منارة دار السيادة التي تممها هذا السلطان من بعد ما أحدثه أخوه عازان. أهـ.

(ثم قال): وهذه اليد العظمى والمنة الكبرى التي له على أهل الحق مما لم ينكره أحد من المخالفين والموافقين، حتى أنه في بعض تواريخ العامة (أي أهل السنة) رأيت التعبير عن هذه الحكاية بمثل هذه الصورة. ومن سوانح سنة سبع وسبعمائة، أظهر "خدابنده" شعار التشيع بإضلال ابن المطهر. أهـ.

أعلمت الآن أيها القارئ الكريم السبب الذي من أجله ترفَّض هذا الجاهل الأعجمي المغولي وأنه مسألة شخصية، لا دخل فيها لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولا لكتاب منهاج السنة النبوية، وهو كونه طلَّق زوجته ثلاثاً وهو غضبان، واستفتى أمثال الكوثري من علماء عصره فأفتوه بالمحلل، وهو الذي سماه الرسول صلى الله عليه وسلم التيسُ المستعار، وقال الملك لهم: عندكم في كل مسألة أقاويل مختلفة، أو ليس لكم هنا اختلاف؟ قالوا: لا، لابد من المحلل- أي الملعون بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم هو والمحلل له، فاستنكف الملك عن هذا التحليل الذي هو زنا صريح، ولو أخذوا بما كان عليه الطلاق الثلاث في عهده صلى الله عليه وسلم وفي عهد صاحبيه، لخرجوا من جحر الضب الذي أوقعوا الملك معهم فيه، ولو اهتدى إلى شيخ الإسلام ابن تيمية لوجد لمسألته عنده حلاً نبوياً سنياً غير شيعي، ولكن الكوثري يلبِّس شيخ

الإسلام ذنب غيره، فعليه ما يستحق من ربه، لماذا تسكت أيها الكوثري عمن أحرجوا الملك فأخرجوه من بينهم، وتطعن في دين من يرده وقومه إلى حظيرة السنة؟

أكان بالله إثماً أن يؤلف ابن تيمية كتاب "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية"؟! ويرد به ضلالات ابن المطهر الحلّي!

والكوثري السني فيما يزعم يتبجح بقول الحلي الشيعي لإمام السنة: كنت أجاوبه لو كان يفهم كلامي!

وفي كتاب "روضات الجنات" في تراجم الشيعة الذي لخصنا عنه ما تقدم (ص 171-174) نقلاً عن تذكرة الشيخ نور الدين علي بن عراق المصري- أن الشيخ تقي الدين ابن تيمية الذي كان من جملة علماء السنة معاصراً للشيخ جمال الدين العلامة المذكور- منكراً عليه في الخفاء كثيراً- كتب إليه العلامة بهذه الأبيات:

لو كنت تعلم كل ما علم الورى *** طراً لصرت صديق كل العالم
لكـن جهلت فقلت إن جميع من *** يهوى خلاف هواك ليس بعالم

فكتب الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي في جوابه هذه القطعة وأرسلها إليه:

يا من يُموّه في السؤال مُسفسطاً *** إن الذي ألزمت ليس بلازم

هذا رسـول الله يــعلم كل ما *** علموا وقد عاداه جُل العالم

وترى الكوثري ينوه بكلمة ابن المطهر الحمقاء التي خذها من شِعره ولكنه لم يذكر جوابها السديد لبعض علماء السنة.
ويمكنك أن تقف مما أوردناه لك على دخيلته، وتعرف حقيقة نحلته وخبيئته.

وجملة القول:
أن هذا الرجل لا يعتدُّ بعقله ولا بنقله ولا بعلمه ولا بدينه. ومن يراجع تعليقاته يتحقق صدق ما قلناه فيه، على أنا أوردنا شواهد منها دلت على سائرها وعرفتنا حقيقة قائلها، فمن بقي له شك فيها فليرجع إليها، ليرى كيف أن التعصب يعمي ويصم، والله عليم بذات الصدور.

.....
وانتهى من صفها عصر يوم الجمعة الموافق 26/11/1425هـ ..

"سهم رماه الأقربون"

قال الأستـاذ حسام الدين القدسي في مقدمة كتاب "الانتقاء" في فضائل الثلاثة الفقهاء: مالك والشافعي وأبي حنيفة- رضي الله عنهم- وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم للتعريف بجلالة أقدارهم:
هذا، وقد كان الشيخ محمد زاهد الكوثري يصحح الكتاب ويعلق عليه، ثم أوقفت ذلك في صفحة (88) لما أطلعت عليه من دخيلة في علمه وعمله، دفعتني

إلى النظر في تعليقاته على النزر اليسير من مطبوعاتي بغير العين التي كانت لا تأخذ منه إلا عالماً مخلصاً، فرأيته في بعضها باحثاً بمادة واسعة، وتوجيه لم يُسبق إليه، وهو شطر السبب في إعجابي به، وبما يتأتى إليه من عدم النفاذ إلى أغراضه، وفي بعضها: يحاول الارتجال في التاريخ تعصباً واجتراء، والباقي تعليق ككل تعليق، وكلام ككل كلام.

وخِيفة أن أشاركه الإثم- إذا أنا سكتُّ عن جهله بعد علمه- سقت هذه الكلمة الموجزة، مُعلناً براءتي مما كان من هذا القبيل.

وأنا ضارب له مثلاً ليقاس عليه، فإنه قال في "ذيول طبقات الحفاظ صفحة 300" عن الكلوتاني "شهدوا له بأنه أكثر معاصريه سماعاً، ملأ البلاد المصرية رواية" ويقول الأستاذ المحقق السيد أحمد رافع الطهطاوي "وهذه الشهادة إنما نقلت عن الأمير تغري برمش، وفيها مجازفة، فكم من كتاب أو جزء ومعجم ومشيخة قرأه أو سمعه الحافظ ابن حجر نقل الكلوتاني ما رآه".

وقال الكوثري أيضاً في الذيول (ص 137) –وهو يدافع عن مغلطاي في أمور، إن لم يكن ثابتاً أكثرها فبعضها لا تتماسك في دفعه حجة- "وليس هذا الكلام مما يحط من مقدار من تكون إمامته وعلو شأنه، كما أشرنا إليه، كما لم يحط من مقدار ابن الجزري كلام من تكلم فيه".

مع أنه قال في ترجمة ابن الجزري (ص 377) "لما طلب منه الأمير الكبير أيتمش: رفع حساب أوقافه التي كان جعلها تحت نظره أيام قضائه بالشام: هرب إلى الروم، ولم يكن في قضائه محمود السيرة كما ذكره السخاوي وغيره" وسكت فلعله كان مبطلاً في النفاح عن مغلطاي، والوقيعة في الإمام ابن الجزري، فتنـــاقض.

وهو يشد من عصبيته في الأكثر لكل من يحسب أنه يتصل بدم جركسي، سواءً كان حنفياً أم غير حنفي، فيخلق لهم من المحاسن والدفاع ما لا يكون على تصديقه التاريخ، ويعلن بمساوئ غيرهم، ولو قيلت للنيل منهم والوقيعة فيهم.

ولو أن ابن تيمية أو السيوطي وغيرهما كان في محل مغلطاي فيما قيل عنه: لا ستجمع ضروب القول ليثبت تناقضه ولو قالوا عن أحدهم ما قاله عن الكلوتاني "شهدوا له" لسعى لنقده.

ولابد هنا من التصريح بما هو له مما يعزى إليه في موطنه.
وإن كانت القرائن تنادي بأنه من قلمه ليس غير: مقدمة "الاختلاف في اللفظ" ومقدمة تعليقات "بيان زغل العلم" وترجمة السبكي في "الدرر المضيئة" وما يؤخذ به الخطيب البغدادي في ترجمة التطفيل، ولا أعرض له الآن كما عرض لهم، و{إنما يتذكر أولو الألباب}.

وهو زاهد بن حسن بن علي بن خضوع بن باي بن قانبت بن قنصو الجركسي الكوثري، نسبة لقرية الكواثرة بضفة نهر شبز، ببلاد القوقاز، المولود عام 1296 على ما يقول.

حسـام الدين القدسي